المحاضرة3

أدب السير

تعد السيرة من أهم ألأشكال السردية في الأدب العربي القديم، وهي صورة عن التجارب الإنسانية، غنية بمصادر المعرفة والتاريخ كما أنها تقدم متعة كبيرة للقارئ.

تعريف السيرة:

لغة:

ورد في في لسان العرب سار بهم سيرة حسنة والسيرة " الهيئة" و سير السيرة "حدث أحاديث الأوائل، كما أن السير هي جمع السيرة، وهي " الطريقة" سواء كانت خيرا أو شرا يقال فلان محمود السيرة، فلان مذموم السيرة.

أما في المعجم الوسيط فهي " السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره" و السيرة النبوية وكتب السير مأخوذة من السير بمعنى "الطريقة " وادخل فيها الغزوات وغير ذلك، ويقال قرأت سيرة فلان "تاريخ حياته " ج سير) والسيرة هي "طريقة الحياة " " والسنة" و"الهيئة")

اصطلاحا:

أما السيرة في الاصطلاح ما هي إلا قصة قديمة تتداخل فيها الحقيقة والخيال، تترجح بين الأسطورة والتاريخ، وما هي إلا قصة طويلة تتطلب من الدارسين البحث الدائم والتنقيب المستمر ينبثق منها كل ما هو مدفون فيها من واقع جديد وقيم عريقة .

كما أن السيرة فن أدبي يجمع بين القصة والتاريخ، ويتناول شخصية أو مجموعة من الشخصيات البارزة لجلاء جوانبها، والكشف عن عناصر العظمة فيها، وهي عملية تحليلية لعناصر الشخصية المترجم لها ومن خلال هذا التحليل تبرز القيم الإنسانية التي تنطوي عليها الشخصية.

(وقد ارتبطت السيرة دلاليا في نشأتها الأولى بتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم العسكري وغزواته ضد المشركين لنشر الدعوة الإسلامية، ولهذا فغن هذه الكلمة في دلالاتها المبكرة اقترنت بالمغازي التي تحيل إلى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم) .

عرف الأدب العربي أشكالا مختلفة لفن السيرة منها: السيرة النبوية، السيرة الشعبية، السيرة الذاتية، السيرة الغيرية، الترجمة، الرحلة... ولكن الأكثر ارتباطا بالأدب العربي القديم السيرة النبوية، والسيرة الشعبية ومنها: سيرة بني هلال، سيرة عنترة ،بن شداد، "سيرة سيف بن ذي يزن" وفي "سيرة علي الزئبق"، والزير سالم وحمزة البهلوان، وفي سيرة ذات الهمة، سيرة الظاهر بيبرس

ونعتقد أن فن السيرة في الأدب العربي القديم يقترن أكثر بالسيرة الشعبية من لأنها (أكثر أشكال فن السيرة تمثيلا لمكونات البنية السردية في هذا النوع السردي) ، هذا إلى جانب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

السيرة النبوية:

(أصبحت حياة الرسول بعد وفاته مباشرة، وخلال القرون اللاحقة، موضوعا لعدد كبير من المرويات، ومنها ما تركه محمد بن إسحاق الذي تعد مكوناته الصورة الشبه كاملة لمرويات شفوية كثيرة كانت شائعة قبل أن يأمر المهدي بن إسحاق بتدوينها، لكن الصورة النهائية للسيرة النبوية تكاملت على يد عبد الملك بن هشام، الذي اشتهر بحمل العلم،. كانت المرحلة التي جاءت بعد وفاة بن إسحاق أكثر وضوحا، في تاريخ تكون السيرة النبوية، من المرحلة التي سبقت ظهوره، ذلك أنه خلف رواة متمرسين في روايتها، وأبرزهم: زياد البكائي، وسلمة بن فضل الأبرش، ويحيى بن سعيد بن أبان، وأحمد بن عبد الله بن السلمي، والهيثم بن عدي، وأحمد بن خالد الذهبي)

وكان (أبان بن الخليفة عثمان بن عفان أول من كتب المغازي)، فهي الصورة الأولى للسيرة كما تذكر الكتب مع أننا لا نجد له ذكرا في كتب السيرة المشهورة مقابل النصوص

التي وصلتنا، وهي تحكي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للتعرف على حياته، وتتعرض السير ما قبل ولادته ومولده ونشأته حتى البعثة ودعوة الناس إلى الدين الحنيف، وما لاقاه في سبيل دعوته وذكر غزواته في سبيل ذلك...

السيرة الهلالية:

السيرة الهلالية أو سيرة بني هلال تروي قصة رحلة قبيلة بني هلال البدوية من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا. وتدور حول أحداث تاريخية وقعت في القرن الحادي عشر. حيث سيطروا على وسط إفريقيا الشمالية لأكثر من قرن قبل إبعادهم من قبل سكان المغرب العربي.

وهي تعكس التاريخ الشعبي العربي والمعتقدات والرموز والتقاليد، وتمجد السيرة الهلالية الشجاعة والبطولة وتحمل في طياتها معاني الشرف والثأر في الحرب والحب. وتقدم أحداثًا من التاريخ المنقول شفهيًا والمعاد إحياؤه في سياقاتها التاريخية والاجتماعية وتدوينًا لأعراف وعادات الطعام واللباس وأساليب المعيشة لهذه التجمعات عبر الزمن.

ومن هذه الأحداث تطورت الملحمة، وكان الموضوع الرئيسي فيها الحرب بين بني هلال بقيادة أبو زيد الهلالي وقبيلة زاناتة بزعامة خليفة الزاناتي.

-سيرة عنترة بن شداد:

تتناول هذه السيرة أشهر أبطال الجاهلية وقد نسجت المخيلة العربية حولها الكثير من الأخبار والمغامرات المليئة بالبطولة والفروسية والحب والحرب والوفاء والتضحية، فهو لم ينل حريته إلا لقاء بطولاته والدفاع عن بني عبس والأغلب أن قصة عنترة من وضع عدة مؤلفين وانتقلت من عصر إلى عصر ومن مكان إلى مكان حتى جمع شتاتها كما تذكر الكتب في القرن العاشر حيث جمعها يوسف بن إسماعيل المصري نزولا عند رغبة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وقد نسبها بعضهم إلى الأصمعي.

سيرة ذات الهمة:

اختلط فيها التاريخ مع المخيلة الجماعية فأنتجت ملحمة لا تزال حية، تبدأ أحداث السيرة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وتستمر حتى نهاية عصر الخليفة العباسي الواثق بالله، وهي تغطي القرن ونصف القرن تقريبا من حكاية صراع العرب والمسلمين

والروم، وتبدأ قبل ولادة فاطمة بنت مظلوم ابن الصحصاح بن الكلابي، تتابع السير صراع والدها مظلوم مع آخيه ظالم ثم مقتل والدها على يد عمها، وتضطر للهرب والعيش في قبيلة أخرى مخفية نسبها، وحين تعلن عن نسبها الرفيع ويرى الناس فروسيتها ينتخبونها قائدة لجيوشهم، وتبرز بطولاتها عند ما تقود الجيوش ضد الروم،...

خصائص السيرة الشعبية:

-القصة المركزية في السيرة الشعبية تبدو قصة حياة بطلها منذ مبتدئها حتى الوفاة. وتنتظم في وحدات حكائية متفاوتة الطول يقوم تعاقبها على منطق عام تشترك فيه مختلف السير. فالوحدات الأولى تتعلق بالنسب والنبوءات المبشرة والولادة الخارقة والنشأة الصعبة. وتوكل للعلامات التنبؤية أهمية كبرى؛ لأنها تفتح القصة على احتمالات كثيرة وتضاعف التشويق وتتحكم في المسار الحدثي العام.

-ويهتم الراوي الشعبي بإبراز نسب البطل وخصائصه الجسدية عند الولادة وتميزه منذ الطفولة بالقوة والفروسية والقتال. ويروي المحن التي تعرض لها منذ الصغر، شأن المكائد والعراقيل التي وجدها سيف من أمه والمهلهل من زوجة أخيه وعنترة من أبيه وقبيلته. وتمثل تلك المحن تجارب تبرز للآخرين قوته. ثم يكون الاختبار الحاسم الذي يمكن من الاعتراف به بطلاً، وهو يتمثل خاصة في الانتصار على أحد الفرسان الجبابرة، كأسر سيف لسعدون الزنجي، وقتل بيبرس لسعد الركبدار. وتمضي حياة البطل بعد ذلك من صراع إلى آخر. وقد تكون بعض المعارك من أجل غايات ذاتية، كرغبة المهلهل (الزير سالم) في الثأر لأخيه كليب، وسعي بيبرس إلى السلطة، وإصرار أبطال آخرين على الزواج من الحبيبة. ولكن قتال عنترة قد تجاوز الصراع من أجل عبلة، ولم تنته سيرة سيف بن ذي يزن بزواجه من شامة واستعادة ملك أبيه. فالسيرة الشعبية توكل لبطلها دورًا اجتماعيًّا وقوميًّا.

-لما كانت حياة البطل مراحل متتالية من الصراع، كانت المعارك الفردية والجماعية من أبرز أحداثها. ولكن السير ضمت أيضًا أعمالاً كثيرة متنوعة ذات طابع وجداني أو اجتماعي أو فكاهي أو ديني أو سحري. وقد قام المحور الرئيس للأحداث والأفعال في

مختلف السير على التضاد بين الخير والشر، فكان البطل ومساعدوه في مواجهة مستمرة لمكائد الخصوم. وتميز البطل بكل الخصال بالدهاء والقدرة على التحيل والأعمال الماكرة

– وبالإضافة إلى قيام السيرة على الصراع بين البشر، ثمة تدخل مستمر لمصلحة هذا الطرف أو ذاك، تقوم به شخصيات بشرية ذات قدرات خارقة، كالأولياء الصالحين والسحرة وشخصيات عجائبية كالجن والعمالقة والممسوخات المتنوعة أشكالها وقدرتها على التحول والحركة.

–لقد تجلت السيرة الشعبية، تبعًا لذلك، نصا سرديا متميزًا بالمراوحة المستمرة بين السرد والوصف والحوار قائمًا على التفصيل والاستطراد والإطناب والتضمين.

المراجع:

–مجموعة باحثين، معجم السرديات، إشراف: محمّد القاضي، دار محمّد علي للنشر (وأخرى)، ط1، 2010

–عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي ج2، قنديل للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 2016. دبي ، الإمارات العربية المتحدة

–إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم ، الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008.